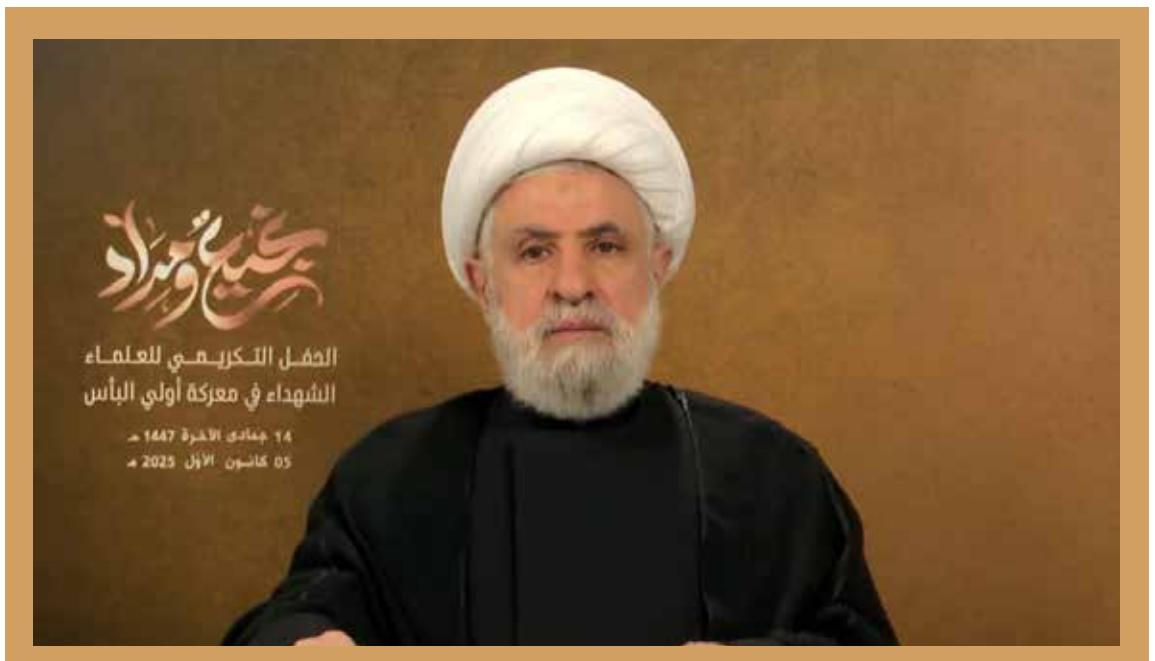

قراءة في خطاب الشيخ نعيم قاسم وتفكيك ثنائية "الحُكم والخصم"
"أنطولوجيا المقاومة" و"الهندسة الأمريكية"

الوفاق
د. أكرم شمص

في خضمّ الحرب المفتوحة على لبنان، لم يأتِ خطاب الشيخ نعيم قاسم مجرد تعليق عابر على الأحداث، بل جاء كوثيقة تأسيسية تعيد تعريف الصراع من جذوره. فالشيخ قاسم، في تفكيكه للمشهد، لم يواجه العدو الصهيوني ككيان عسكري فحسب، بل واجه المظلّة السياسية التي تغطيه: الولايات المتحدة، تلك القوة التي تمارس في لبنان دوراً مزدوجاً وشديد الخطورة؛ فهي تقدّم نفسها كـ"حكم" دبلوماسي يسعى لتطبيق القرارات الدولية، بينما تمارس فعلياً دور "الخصم" الذي يدير الحرب بأدوات سياسية واقتصادية لفرض ما عجزت عنه الآلة العسكرية للعدو الصهيوني.

في خضمّ الحرب المفتوحة على لبنان، لم يأتِ خطاب الشيخ نعيم قاسم مجرد تعليق عابر على الأحداث، بل جاء كوثيقة تأسيسية تعيد تعريف الصراع من جذوره. فالشيخ قاسم، في تفكيكه للمشهد، لم يواجه العدو الصهيوني ككيان عسكري فحسب، بل واجه المظلّة السياسية التي تغطيه: الولايات المتحدة، تلك القوة التي تمارس في لبنان دوراً مزدوجاً وشديد الخطورة؛ فهي تقدّم نفسها كـ"حكم" دبلوماسي يسعى لتطبيق القرارات الدولية، بينما تمارس فعلياً دور "الخصم" الذي يدير الحرب بأدوات سياسية واقتصادية لفرض ما عجزت عنه الآلة العسكرية للعدو الصهيوني.

أمريكا الحَكَم والخصم

تتجاوز الولايات المتحدة في مقاربتها للملف اللبناني دور "الوسيط" الدبلوماسي لتكرّس نفسها كطرف شريك في الحرب الصهيونية على لبنان، حيث يظهر التدخل الأمريكي سافراً عبر سلوك السفراء والمبعوثين الذين يتصرّفون كـ"مشرّعين خارجيين" لاكمراقبين.

ويتجلّى هذا الانخراط في تحريض مباشر وصل حدّ تقديم "نصائح عملياتية" باستهداف مراسم تشييع الشهيد الأسمى السيد حسن نصرالله (أورتاغوس)، واستخدام المنابر الإعلامية للعدو الصهيوني من قلب بيروت لتوجيه رسائل تهديد للداخل اللبناني (السفير الأمريكي في لبنان ميشال عيسى)، بالتوازي مع ممارسة ابتزاز سياسي يربط المساعدات الاقتصادية بنزع سلاح المقاومة (توم براك).

هذا السلوك يهدف جوهرياً إلى فرض إرادة خارجية تعيد هندسة هوية الدولة والمجتمع في لبنان، محوّلاً السيادة الوطنية إلى "قيمة مشروطة" بالخضوع للمصالح الأمنية للعدو الصهيوني، ومستغلاً الانقسامات الداخلية والغطاء الدولي لمحاولة تفكيك مكامن القوة اللبنانية بدلاً من حماية الاستقرار.

أولاً: الجذور مقابل السطحية.. المقاومة كمسار وجودي

في مواجهة السردية الأمريكية التي تحاول تصوير المقاومة كـ"حالة طارئة" أو "ميليشيا وظيفية" يجب تفكيكها ليعود الاستقرار، يستحضر الشيخ قاسم البُعد "الأنطولوجي" (الوجودي) للمقاومة. حين يستدعي الشيخ راغب حرب (رمز الرفض) والسيد عباس الموسوي (رمز البناء)، فهو ينسف فكرة "الطارئ". وهو يقول للعالم، وللأمريكي تحديداً: نحن لسنا تنظيماً يمكن حله بقرار إداري، بل نحن تيار تاريخي، "مدادنا دماء العلماء".

هذا التأسيس الفلسفي يضع "العمق التاريخي" في مواجهة "الهندسة السياسية الآنية" التي يحملها المبعوثون الأمريكيون. فالمقاومة التي تُبنى على "نور الشهادة" و"تربية الجهاد الأكبر (تهذيب النفس)" قبل "الجهاد الأصغر (القتال)" هي بنية عصيّة على التفكيك، لأنها متجذّرة في هُويّة الإنسان لا في سلاحه فقط. والشيخ قاسم يرى أن سرّ قوة حزب الله ليس السلاح ولا التمويل، بل "مجتمع موحَّد الرؤية". هذه "الهارمونية الاجتماعية" بين القيادة الدينية والناس هي ما سمح للحزب أن يشقّ طريقه رغم الحصار والاتهامات.

ثانياً: أمريكا "الخصم" بقناع "الحَكَم"... وتفكيك القرار ١٧٠١

تتجلّى عبقرية الخطاب في كشفه للدور الأمريكي الملتبس، وكأن الشيخ نعيم يضعه تحت عنوان: "أمريكا الحكم والخصم"، حيث يتسلّل الأمريكيون عبر الدبلوماسية والقرار ١٧٠١، محاولين تحويله من اتفاق لترتيب الأمن الحدودي إلى أداة لـ"إعادة هندسة الداخل اللبناني".

يردّ الشيخ قاسم بوضوح قاطع: "الـ١٧٠١ له علاقة باللبنانيين فيما بينهم". هنا، يستعيد الشيخ السيادة من التدويل. وهو يدرك أن واشنطن، بصفتها "الخصم"، لا تريد تطبيق القرار، بل تريد "توسيع تفسيره" ليشمل نزع عناصر القوة من المجتمع اللبناني ككل. وعندما يتساءل الشيخ: "عندما يقولون نزع السلاح، هل يكتفون بذلك؟"، فإنّه يعري الهدف الأمريكي النهائي. فالمسألة ليست أمنية، بل حضارية.

ثالثاً: مقاومةٌ تُجيد العيش مع الجميع: نموذج الاحتضان لا العزلة

هنا يُبيّن الشيخ نعيم قاسم أن تجربة حزب الله لم تكن يومًا حالة انعزالية أو مشروعًا مغلقًا، بل نموذجًا حيًّا على قدرة المقاومة على التفاعل مع الجميع وبناء شراكات وطنية عابرة للطوائف. فمنذ ١٩٩٧، حين جمع الحزب تحت راية المقاومة قوى علمانية وشيوعية ومسيحية وإسلامية في إطار واحد، وصولًا إلى تحالف ٢٠٠٦ مع التيار الوطني الحر، أثبت أنّه عنصر جامع لا مفرّق، وأنه قادر على إقامة علاقة وطنية راسخة تقوم على النهضة وحماية لبنان. هذه الروحية تجلّت أيضًا في حضور كشّافة الإمام المهدي (عج) عند استقبال قداسة البابا، وفي كلمات الأطفال التي عكست تربية على الوطنية والانفتاح لا على الانغلاق. ورغم حملات التشويه ومحاولات ضرب الصورة، بقيت التجربة أقوى من السهام، لأنها ترتكز على دماء الشهداء، وعلى مجتمع تؤسّسه قيم الإخلاص والعزة، ولأنها مشروع إنساني قبل أن تكون مشروعًا سياسيًا، ولذلك بالذات يستمر الهجوم عليها، ولذلك أيضًا تبقى عصيّة على الكسر.

رابعاً: الدولة والمقاومة.. التكامل في مواجهة الإلغاء

في ظل الضغط الأمريكي الذي يخيّر اللبنانيين بين "الدولة" أو "المقاومة" لشقّ الصف الداخلي، يطرح الشيخ قاسم معادلة "التكامل الوظيفي": الدولة تدير الدبلوماسية، والمقاومة تحمي السيادة بالنار. وهذه المعادلة تنسف الرهان الأمريكي على الاستثمار في التناقضات الداخلية.

فلسفياً، يُظهر الخطاب أنّ السيادة الحقيقية لا تأتي من الرضا الخارجي (الذي يجعل السيادة مشروطة)، بل من القدرة الذاتية على الرفض.

ويرى الشيخ نعيم إنّ إشراك رئيس مدني في لجنة وقف إطلاق النار شكّل تراجعًا واضحًا عن الموقف الرسمي الذي ربط مشاركة المدنيين بوقف العدوان، ما جعله تنازلًا مجانيًا لم يغيّر شيئًا من النار المستمرة التي يفرضها العدو الصهيوني بدعم أمريكي.

وهكذا تحوّلت الخطوة إلى سقطة جديدة تُضاف إلى خطيئة الخامس من آب، فيما يبقى لبنان وحده تحت ضغطٍ لا يراعي سيادته ولا مصالحه.

خامساً: سفينة الوطن.. التحذير من "ثقب" الخيانة

يختتم الشيخ خطابه بصورة بلاغية شديدة الدلالة: "السفينة".

في هذا التشبيه، يُشخّص الشيخ الخطر الوجودي. فالبحر الهائج هو المشروع الصهيوني التوسّعي؛ ولكن الخطر الحقيقي ليس الأمواج فحسب، بل "الثقب" (الخيانة) الذي قد يحدثه البعض في الداخل عبر التماهي مع الطروحات الأمريكية. وواشنطن تراهن على هذا "الثقب"، وتراهن على تحويل الانقسام السياسي إلى أداة ضغط قاتلة. وردّ الشيخ قاسم يأتي حاسماً: مصيرنا واحد، والغرق لن يستثني أحداً.

والوحدة الداخلية هنا ليست ترفاً أخلاقياً، بل شرط بقاء استراتيجي. والخطاب واضح في أن العدوان الصهيوني ليس مرتبطًا بسلاح المقاومة، بل بمشروع توسّعي: "العدو الصهيوني الكبير" عبر بوابة لبنان.

هذه المقاربة تُخرج النقاش من إطار "السلاح مشكلة داخلية" وتضعه في إطار تهديد وجودي. والشيخ لا يقدّم العدو الصهيوني كعدو عسكري فحسب، بل كـ: مشروع توسّعي، ورؤية استعلائية للعالم، ومحاولة لفرض نموذج حضاري بديل يقوم على السيطرة.

وهنا يتحوّل العدو الصهيوني من كيان حدودي إلى مفهوم فلسفي: إرادةٌ تسعى لتحويل المنطقة إلى مجال حيوي لمشروعه. ولذلك يقول إن العدوان ليس من أجل السلاح، بل من أجل "العدو الصهيوني الكبير" ومشروعه. والسلاح يصبح رمزاً للممانعة، لا سبب الصراع.

وبهذه المقاربة، يصبح الصراع تاريخياً – حضارياً، لا مجرد صراع عسكري.

الخلاصة:

قدّم الشيخ نعيم قاسم خطاباً يتجاوز التعبئة الآنية، ليطرح مرافعة شاملة عن "معنى لبنان". في مواجهة أمريكا التي تتصرّف كـ"حكم" لتشرعن القتل، وكـ"خصم" لفرض الاستسلام، يقدّم الشيخ مشروعاً مضاداً: لبنان القوي بمقاومته، العزيز بتاريخه، السيد بقراره.

والمعركة، وفق هذا المنظور، ليست على "جنوب الليطاني" فحسب، بل على سؤال أعمق: "ماذا نريد أن نكون؟" دولة تابعة بقرار مرتهن، أم مجتمعاً مقاوماً يمتلك شرف الدفاع عن وجوده؟

والرسالة الجوهرية: قوة المقاومة ليست في السلاح وحده، بل في المجتمع المُربّى على الجهاد والأصالة، وفي علاقة العلماء بالناس، وفي الوحدة الوطنية أمام مشروع توسّعي عابر للحدود.

الشيخ لا يقدّم العدو الصهيوني كعدو عسكري فحسب، بل كـ: مشروع توسّعي، ورؤية استعلائية للعالم، ومحاولة لفرض نموذج حضاري بديل يقوم على السيطرة

قوة المقاومة ليست في السلاح وحده، بل في المجتمع المُربّى على الجهاد والأصالة، وفي علاقة العلماء بالناس، وفي الوحدة الوطنية أمام مشروع توسّعي عابر للحدود

وسط مخاوف من وقوع كارثة صحية وبيئية في القطاع

شهداء بنيران العدو الصهيوني.. وقصف مدفعي مكثف على غزة

في اليوم الـ٥٧ من بدء وقف إطلاق النار في غزة، أفاد مصدر في الإسعاف والطوارئ باستشهاد فلسطينيين وإصابة آخرين بنيران جيش الاحتلال الصهيوني في بيت لاهيا شمالي قطاع غزة.

يأتي ذلك بينما حذرت بلديات قطاع غزة من توقف كامل للخدمات العامة نتيجة منع الاحتلال إدخال الوقود والمعدات اللازمة إلى القطاع، مما ينذر بكارثة صحية وبيئية.

سياسيا قال رئيس الوزراء وزير الخارجية القطري محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، إن قطر تتفاوض لرسم المسار المستقبلي للمرحلة التالية، وتابع: "نحن في مرحلة مفصلية ولم يطبق الاتفاق بشأن غزة فيها بالكامل". وفي الضفة الغربية، واصلت قوات الاحتلال اقتحاماتها لمدن وبلدات في الضفة، كما استشهد الشاب بهاء راشد برصاص قوات الاحتلال خلال اقتحامها بلدة أودلا جنوبي نابلس، بحسب مصدر طبي.

استشهاد ضابط بالدفاع المدني في غزة

استُشهد الضابط في الدفاع المدني في قطاع غزة، سهيل دهمان، السبت، متأثراً بجراحه التي أُصيب بها من جراء استهداف الاحتلال الصهيوني محيط مسجد الرباط في مشروع بيت لاهيا شمالي القطاع.

وفي سياقٍ متّصل، أفادت وسائل إعلام في قطاع غزة بأن "جيش" الاحتلال يواصل نسف ما تبقى من منازل المواطنين على امتداد المنطقة وراء "الخط الأصفر" في القطاع، موضحاً أن حي الشجاعية شرق مدينة غزة بات مدمراً بالكامل من جراء حرب الإبادة التي استمرّت قرابة العامين.

وشنّ الاحتلال قصفاً مدفعياً على مناطق شرقي مدينة خان يونس، جنوبي القطاع، فيما استهدفت طائراته مناطق شرقي المدينة نفسها، ومدينة غزة. وذكرت مصادر محلية أنّ طائرات وآليات الاحتلال أطلقت النار شمال شرق مخيم البريج وسط القطاع. ويواصل الاحتلال الصهيوني انتهاك وقف إطلاق النار في القطاع منذ بدء تنفيذه في ١١ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٥، منفذاً اعتداءات برّية وبحرية وجوية في مختلف المناطق، ما أسفر عن مئات الشهداء والجرحى.

بيان مشترك

ومع تزايد التقديرات بشأن اقتراب الانتقال إلى المرحلة الثانية من اتفاق وقف الحرب، شددت ٨ دول عربية وإسلامية على ضرورة تنفيذ بنود خطة واشنطن دون تعطيل، بما في ذلك فتح معبر رفح في الاتجاهين، ورفض أي محاولة لتهجير سكان القطاع إلى خارج حدود غزة.

وأعرب وزراء خارجية قطر والسعودية والأردن ومصر والإمارات وتركيا وإندونيسيا وباكستان عن قلقهم إزاء تصريحات صهيونية تدعو لفتح معبر رفح باتجاه واحد لإخراج الفلسطينيين نحو مصر، مؤكدين رفضهم القاطع لأي مخطط تهجير.

وطالب الوزراء بتثبيت وقف إطلاق النار وتسهيل دخول المساعدات الإنسانية دون عوائق وضمان حرية حركة السكان.

انهيار القطاع الصحي

وفي سياق متصل، أكدت مصادر طبية بغزة ارتفاع عدد الأطفال الذين وُلدوا بتشوهات خلقية نادرة، في ظل انهيار القطاع الصحي ونقص الغذاء والدواء خلال العامين الماضيين من الحصار وحرب الإبادة الصهيونية.

وقال مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية إن ٦١ ٪ من نقاط الخدمات الصحية في غزة خارج الخدمة، على الرغم من إعادة فتح ٤٢ منشأة، بينها ٤ مستشفيات منذ بدء وقف إطلاق النار.

وحذّر المكتب من مخاطر متزايدة على ذوي الاحتياجات الخاصة في فصل الشتاء، خصوصا في مراكز الإيواء المكتظة التي تفتقر للتجهيزات الأساسية.

حماس تدعو لرفض كل أشكال التطبيع مع العدو

بدوره أكد رئيس حركة حماس في الخارج، خالد مشعل، خلال مؤتمر "العهد للقدس: نحو تجديد إرادة الأمة في مواجهة التصفية والإبادة" في إسطنبول، "ضرورة رفض كل أشكال التطبيع والعلاقة مع الكيان" الإسرائيلي "المجرم".

وشدد مشعل على أهمية حماية مشروع المقاومة وسلاحها، مؤكداً أن "المقاومة وشرفها جزء لا يتجزأ من الأمة"، داعياً إلى مواصلة الجهود لتحرير الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال.

ورأى أن "الانتصار الفلسطيني لا يمكن أن يتحقق من دون وحدة أو شراكة"، داعياً إلى عدم احتكار القرار، ومؤكداً أن الفلسطيني هو من يحكم نفسه، ورفض كل أشكال الوصاية على غزة.

كما حذر مشعل من خطر التهويد والاستيطان والتهجير في الضفة الغربية، مشيراً إلى أن البلطجة الصهيونية تهدف لإخضاع المنطقة لأجندتها. وأشار إلى "وجود خطر حقيقي يهدد القدس والأقصى والمقدسات الإسلامية والمسيحية وفلسطين والمنطقة بأسرها".

وأكد مشعل أن "المصير الذي لقيه العميل ياسر أبو شباب هو المصير الحتمي لكل من خان شعبه ووطنه".

دهم واعتقالات بالضفة

كما واصلت قوات الاحتلال الصهيوني، فجر السبت، حملة اقتحامات واعتقالات في الضفة الغربية والقدس، طالت نحو ١٠ فلسطينيين على الأقل، في الأثناء استمرت اعتداءات المستوطنين وهجماتهم على المزارعين الفلسطينيين لمنعهم من حرث وزراعة أراضيهم.

وقالت هيئة الجدار والاستيطان إن المستوطنين نفذوا نحو ٦٢١ اعتداء ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة الشهر الماضي.